ترجمة وتقديم: عبد القادر بدوي

نبوءةً يشعياهو ليفوفيتش* المبكرة - الاحتلال حدث وخيّم على مستقبل إسرائيل

مقدمة

في وقتٍ مبكّر نسبيًا، حذّر ليفوفيتش المُلقّب بـ «نبي غضب المجتمع الإسرائيلي» من المخاطر الكامنة وراء استمرار الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي في أعقاب الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية عام ١٩٦٧، معتبرًا أنه لا يُمكن الاستمرار في وضع الاحتلال القائم الذي يترتّب عليه استعباد شعب من قِبَل «شعب آخر».

وبحسبه، يخلق الاحتلال شكلاً من العلاقة العمودية بين الحاكم والمحكوم، وهذه العلاقة ستظل تتضمن تعقيدات لا يُمكن التغلّب عليها إلّا بإنهاء الاحتلال و«تقسيم الأرض بين الشعبين» وإلغاء شكل العلاقة القائمة بين الحاكم والمحكوم كبديل عن الحرب النهائية والمستمرة في الشرق الأوسط بين إسرائيل والوطن العربي.

أدناه، ترجمة لكلمات ليفوفيتش، وهي عبارة عن نص نشر في كتاب المؤتمر السنوي لمنظمة الأخصائيين الاجتماعيين في إسرائيل ١٩٨٠.

النص

إنني أدرك أهمية الجهة التي أقف أمامها هنا، وكذلك المهام الكبيرة والضخمة المنوطة به. ومن

* محرر الموسوعة العبرية وكان أستاذ الكيمياء الحيوية والكيمياء العضوية والفيزيولوجيا العصبية في الجامعة العبرية في القدس. عُرف بمواقفه الناقدة بشكلٍ لاذع للحكومات الإسرائيلية وحصل على لقب «نبي غضب المجتمع الإسرائيلي».

الممكن أن تكون وظيفة «الخدمة الاجتماعية» هو جوهر النشاط الاجتماعي، وأن تكون كل مشاكل السياسة الخارجية والأمنية وأشكال الحكم وما إلى ذلك، ليست أكثر من نوع من البنية الفوقية فوق المشكلة الاجتماعية التي تتعاملون معها. أنا لست عالم اجتماع ولست مختصًا اجتماعيًا (نفسيًا)، وهما مهارتان مطلوبتان هنا من ناحية المعرفة المهنية، والشيء الرئيس هو أنني أفتقر إلى أي خبرة في هذه المجالات. لذلك سأركّز مداخلتي في مجال واحد فقط من مشكلة النظام الاجتماعي- السياسي في دولة إسرائيل، وهي مشكلته المركزية؛ إذ تحولت دولتنا إلى منظومة حكم شعب لشعب آخر. أنا لا أتعامل مع الموضوع العام «المعالج والمريض»، وهو أمر يتطلب التخصّص في الأمور المتعلّقة بعلم الاجتماع وعلم النفس والفهم الإنساني الذي ينبع من تجربة الانشغال مع هذه الأمور والتعامل معها. لذلك سأتعامل مع جزء من هذا الموضوع، وهو أمر الحكام والمحكومين، وهذا يعني أنه موضوع سياسي.

مناقشة مجمل النتائج التي كانت - وستكون - لدولة إسرائيل من احتلال «المناطق» {الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧} وفرض حكمنا على شعبها، من حيث ما فعله هذا الاحتلال بـ «الشعب اليهودي» في الدولة، على بنيتها الاجتماعية، على نظامها السياسي، طابعها الروحي والأخلاقي، مكانة الدولة في العالم والمخاطر الوجودية الناجمة عن كل ذلك- وهذا النقاش يتجاوز نطاق برنامج هذا المؤتمر. لذلك، سأتناول جانبًا واحدًا فقط من هذا الموضوع: العلاقة بين الحكام والمحكومين، بما يتلاءم مع موضوع المؤتمر.

ولإظهار موقفي، يمكنني أن أشير إلى مقال كتبته قبل سنوات عدّة، بعد نحو عام من حرب الأيام الستة. من القبيح عادةً أن تقف وتعلن بدافع الرضا عن النفس: «ألم أقل لك هذا من البداية». ومع ذلك، في هذه الحالة، قد يُسمح لي بذلك، لأنه في الآونة الأخيرة كثير من الناس - ومن بينهم مَن لا أعرفه على الإطلاق - يذكرونني بذلك المقال منذ ١٢ عامًا، الذي قلت فيه إن النصر المجيد في تلك الحرب ونتائجه، وهي تحرير (أو احتلال) جميع أراضي أرض إسرائيل التاريخية، قد تتكشّف عبر التاريخ باعتبارها بداية سياق لعملية أفول أو سقوط دولة إسرائيل. أثارت هذه الكلمات حينها غضبًا أو حيرة، ومن بين هؤلاء الذين يُطلق عليهم «الشخصيات العامة» لا أعرف إلا رجلاً واحدًا وافقني على هذا الأمر قلبًا وقالبًا، وهو لم يعد على قيد الحياة: إنه المرحوم بنحاس ليفون. اليوم، يذكرني الكثير من الناس بتلك المقالة ويضيفون: «اليوم نفهم أنك كنت على حق».

إن الانقسام إلى حكام ومحكومين هو أحد مكونات مسار التاريخ الإنساني ككل، وله وجهان: (١) الحكم الواحد أو حكم الأقلية وذلك بالمفهوم السياسي للمجتمع الذي هو عبارة عن أمة واحدة، لكن ليس هذا ما نناقشه هنا؛ (٢) حكم مجتمع في طريقه للتبلور باعتباره أمة واحدة، لمجتمع آخر في طريقه للتبلور كأمة واحدة أيضًا. وهذه الظاهرة التي ميزت الفترة التاريخية الممتدة لمئات السنوات الماضية: الحكم الاستعماري، الذي خضع فيه حوالي ثلثا (أو ثلاثة أرباع) الجنس البشري لأجيال عديدة حتى منتصف القرن العشرين، ونتائج هذا النظام الاستعماري سواء على الدول الحاكمة أو بالنسبة للشعوب المحكومة. إن ما يميز الفترة التاريخية التي نعيشها في هذا الجيل، العقود الأخيرة، منذ منتصف ونهاية القرن العشرين هو سياق تفكك الاستعمار في جميع أنحاء العالم. هذه هي الحقيقة الأكثر أهمية في السنوات الثلاثين إلى الأربعين الماضية، أكثر من كل الحروب وجميع الثورات الأخرى: التغيير الكامل لبنية المجتمع البشري بأكمله على وجه الأرض، والسياق الشامل لتفكّك الاستعمار.

حتى اليوم، لا تزال هناك العديد من الدول لديها حكام ومحكومون، ومن هذه الزاوية فإن القرن العشرين أسوأ من القرن التاسع عشر. إن المجتمعات والدول التي يوجد فيها طغيان أفراد أو مجموعات من الناس الذين يسيطرون على جماهير شعوبهم، أصبحت اليوم ظاهرة بين غالبية البشرية. لكن هذه حكومات داخل شعوبها ومجتمعها، وهو أمر مختلف تمامًا عما نناقشه هنا. إن نظام تحكّم وسيطرة شعب على شعب آخر، بطريقة صريحة وحتى رسمية، موجود اليوم في الواقع في مكانين فقط على وجه الأرض: في جنوب أفريقيا، وفي «أرض إسرائيل الكاملة». فقط في هذين المكانين المتوحشين يوجد مثل هذا الوضع اليوم، وفي كل مكان آخر يكون الطغيان مسألة داخلية. وحتى في الاتحاد السوفييتي،

إن نظام تحكّم وسيطرة شعب على شعب آخر، بطريقة صريحة وحتى رسمية، موجود اليوم في الواقع في مكانين فقط على وجه الأرض: في جنوب أفريقيا، وفي "أرض إسرائيل الكاملة". فقط في هذين المكانين المتوحشين يوجد مثل هذا الوضع اليوم، وفي كل مكان آخر يكون الطغيان مسألة داخلية. وحتى في الاتحاد السوفييتي، الذي ما زال يتحكّم بعشرات الشعوب، لا يوجد حكم رسمي للشعب الروسي على الدول الأخرى.

الذي ما زال يتحكّم بعشرات الشعوب، لا يوجد حكم رسمي للشعب الروسي على الدول الأخرى. في واقع الأمر، اليوم الشعب الروسي نفسه لا يتمتع بالحكم الذاتي.

ماذا يعني هذا بالنسبة لنا؟ أنتقل إلى وثيقة جدية ومضحكة، لكن حقيقة أنها مضحكة تثير مشاكل خطيرة للغاية. إنها «رسالة إلى هيئة التحرير» في أحد أعداد جريدة اليوم، والتي قرأتها هذا الصباح. الكاتب يوقع «رجل من الكيبوتس» وقد طلب عدم نشر اسمه. هو يحتج في رسالته على مقال نشر في الصحيفة نفسها قبل أسبوعين حذر كاتبها من حرمان المواطنين العرب من حقوقهم في دولة إسرائيل وضرب أمثلة على ذلك. وجاء الرد على تلك الرسالة، بأن مستوى معيشة السكان في القرى العربية المحيطة بالكيبوتس الخاص الذي يسكنه يرتفع سنة بعد سنة، وهم أنفسهم لا ينكرون ذلك. في كل مكان في هذه القرى يمكنك أن تجد سيارات خاصة، ويذهب القرويون لقضاء وقت ممتع في المدن اليهودية، وعدد الهواتف في القرى اليوم أكبر ٥٠ مرة مما كان عليه قبل ١٠ سنوات، وما إلى ذلك، لكن هؤلاء العرب ناكري جميل وهم يكرهوننا على الرغم من كل الخير الذي قدمناه لهم. يشير المؤلف نفسه زورًا على الظلم الذي يسببه لنا هؤلاء العرب: لماذا هؤلاء العرب لا يدعمون الدولة، لماذا لا يخدمون في الجيش الإسرائيلي للدفاع عن هذه الأرض، التي من المفترض أنها أرضهم؟ وما إلى ذلك. أعتقد أنني لا أحتاج إلى إضافة تفسير لهذا الشيء، الذي يوضح تشويه الوعي، الناجم عن سيطرة الدولة على شعب أجنبي بالقوة. كاتب تلك الرسالة، مثل جزء كبير من الجمهور، لا يدركون أنه كلما زاد «الخير/ الجميل» الذي نقوم به لهذا الشعب بالضرورة سيعزّز عدوانيته لنا، من الواضح أننا نتحدث هنا عن العرب الذين هم مواطنون في دولة إسرائيل، الذين لديهم حقوق مدنية في الدولة، والذين نطلب منهم ولاء للدولة، لكن ماذا فعلنا بهم - وحتى بأنفسنا - بغبائنا الخبيث بإلغاء الخط الأخضر؟ وبهذا وحدنا نصف مليون مواطن عربي في دولة إسرائيل مع نصف مليون من إخوتهم عبر الخط، وجمعناهم معًا في شعب واحد مستعبد من قبل دولة إسرائيل. وبذلك جعلنا من العداوة والكراهية حقيقة نفسية وألغينا فرص تطبيع العلاقات بين اليهود والعرب حتى داخل حدود دولة إسرائيل من هذا الجانب من الخط الأخضر، و«أرض إسرائيل»- بين اليهود والعرب من الجانب الآخر. المواطن العربي في دولة إسرائيل هو نفسه مجبور أن يشعر أنه مستعبَد لكونه يتبع للشعب المستعبَد برمّته من قِبَل الدولة- بغض النظر عن مكانته الاعتبارية (القانونية) في الدولة. إن المشاكل المرتبطة بخلق أقلية قومية غريبة هي مشاكل صعبة لكل دولة ودولة، لكن ثمّة إمكانية لحل هذه المشاكل في حال تحلّينا بدرجات معينة من الحكمة والتسامح. خلاصة القول، أو ما المقصود بذلك؟- أثناء سيطرة الدولة على أبناء شعب آخر سواء كأفراد أو جماعات من الأفراد تابعين لذلك الشعب، في الوقت الذي يستحق فيه هذا الشعب الحصول على الاستقلال على أرضه؛ فإن الواقع ليس كذلك، لأن هذا الشعب برمته تحت سيطرة الدولة الغريبة. مكانة العربي في دولة إسرائيل قبل احتلال العام ١٩٦٧ لا تشبه مكانته بعد تلك الحرب. قبل ذلك، عندما كان بضعة مئات من الآلاف من أبناء الشعب العربي الفلسطيني يتم شملهم داخل إطار دولة إسرائيل، في حينها لم يكن الشعب الفلسطيني ككل خاضعًا لها- ولم يكن

جوهر النظام الاستعماري- المحتَل يُفسد أصحابه ويتسبّب لهم بالغباء والخبث، من خلال تحرير الحكام من القيود القانونية المفروضة على الحكومة في أي مجتمع صالح والسماح لهم بإشباع الرغبات المظلمة (المسماة "القومية"، "الوطنية، وما إلى ذلك)، وبتعويدهم على ممارسة الحرمان من حقوق الإنسان وانتهاكها والحرمان من الحقوق الشخصية المدنية وممارسة سياسة الشعب المستعبَد.

على كل واحد من مئات الآلاف أن يشعر بأن كرامته الإنسانية والوطنية انتهكت لأنه يعيش في دولة ليست دولة شعبه: لأن شعبه لم يكُن مستعبَدا من قِبَل هذه الدولة: وهو ليس ما هو عليه الحال اليوم، لأنه اليوم {طالما أصبح الشعب الفلسطيني في فلسطين الانتدابية} تحت سيطرة إسرائيل فبالتالي تحول الأمر بالنسبة له طامة كبرى حتى لو لم تتضرّر مكانته الشخصية أو وضع القانوني في الدولة.

لا يوجد مكان يمكنك أن تشعر فيه بالتغيير الذي حدث خلال الـ ١٢ عامًا الماضية أكثر من ما هو هنا في الجامعة. إن مشكلة العلاقات بين اليهود والعرب داخل هذه المؤسسة، التي أنتمي إليها، لم تكن أبدًا بسيطة. لكن الوضع اليوم مختلف تمامًا عما كان عليه قبل حرب الأيام الستة. حينها لم يكن الطالب العربي يرى نفسه عضوًا في شعب مستعبد لدولة إسرائيل، لأن الشعب الفلسطيني كان خارج نطاق الحكم اليهودي. كان مصيره الشخصي، مصير عائلته أو قريته، هو أنه، بسبب الحقائق التاريخية والسياسية التي نشأت في الجيل الأخير، عاش ضمن جنسية دولة أخرى، وهو الأمر الذي لا يحبه بالطبع على الإطلاق؛ لكن يُمكن أن يُسلّم بهذا الأمر. اليوم الحال بالنسبة لهذا الشخص هو ليس وضعًا لا يُمكن تجاهله (أن يبقى بدون موقف)، صحيح أنه مواطن في دولة إسرائيل وله حقوق كثيرة، مثل حقيقة أن يتم قبوله في الجامعة العبرية بشروط اليهودي نفسه، وأنه يعامل مثل الطالب اليهودي، لكن من حيث وعيه فهو اليوم جزء من شعب مستعبَد، تنكر دولة إسرائيل عليه حقه في الاستقلال الذي يمنح اليوم لكل الشعوب في العالم.

من خلال تمسكنا بـ «المناطق»، حوّلنا جزءًا من مواطني الدولة، نحو ١٥٪ منهم، إلى كارهين لها، ولا يمكن أن يكونوا إلّا كذلك، وهذا أحد الأشياء السيئة الكثيرة التي جلبناها لأنفسنا بإزالة الخط الأخضر والاستيلاء على «المناطق». فـ«المناطق» ليست مجرد مسألة جغرافية، بل استولينا على بشر، نحو ١,٥ مليون شخص غريب عنا يعيشون في هذه المناطق. أما ماذا يعني ذلك بالنسبة للشعب اليهودي؟ فلقد كتبت بالفعل قبل ١٢ عامًا أن (الوحش) المسمّى «أرض إسرائيل الكاملة» لم يعد دولة الشعب اليهودي وأصبح نوعًا من روديسيا-زيمبابوي تحت الحكم اليهودي. اليوم، لم تعد روديسيا-زيمبابوي موجودة وقائمة، وأصبحت فقط مجرّد زيمبابوي كجزء من السياق الكوني لتفكّك الاستعمار، فقط نحن الذين نقيم روديسيا زيمبابوي هنا، وهي خاضعة للحكم اليهودي، ونحن نسميها «أرض إسرائيل الكاملة».

لكن، بالإضافة إلى المشكلة القومية خلقنا أيضًا مشكلة اجتماعية، وهي تمسّكم (تخصّكم) أنتم الأخصائيين الاجتماعيين، بشكل خاص. نحن نقوض تدريجيًا سلامة النظام الديمقراطي والاجتماعي لمجتمعنا. العرب يتم تحويلهم إلى شعب عامل، واليهود - رؤساء العمل والمسؤولون ورجال الشرطة، وقبل كل شيء - رجال شرطة صُمّ، يشرفون على العرب العاملين ويتجسسون عليهم: كل شيء يُشبه ما كان في جنوب أفريقيا.

يتم التعبير عن سيكولوجية المجتمع الاستعماري في غباء العقل البشري والعاطفة وفي عدم وجود أي فهم لروح المحكومين، وينعكس ذلك في الرسالة نفسها الموجهة إلى النظام التي أشرت إليها. جوهر النظام الاستعماري- المحتَل يُفسد أصحابه ويتسبّب لهم بالغباء والخبث، من خلال تحرير الحكام من القيود القانونية المفروضة على الحكومة في

أنا على قناعة بأن السيطرة اليهودية لن تستمر وراء الخط الأخضر، وأن قضية الضفة الغربية وقطاع غزة ستنتهي كما انتهت قضية سيناء. والسؤال ليس فقط ما هو الثمن الذي سيتعين علينا أن ندفعه، على صعيد الدمار الداخلي كي نعود إلى الخط الأخضر. لماذا "وحدة الأرض" مستحيلة وتقسيمها أمر لا مفر منه؟ لأن الوضع الحالي هو نتيجة ألفي عام من التاريخ، وليس نتيجة الأعوام الثلاثة عشر الأخيرة.

أي مجتمع صالح والسماح لهم بإشباع الرغبات المظلمة (المسماة «القومية»، «الوطنية، وما إلى ذلك)، وبتعويدهم على ممارسة الحرمان من حقوق الإنسان وانتهاكها والحرمان من الحقوق الشخصية المدنية وممارسة سياسة الشعب المستعبَد، وفي تكوين موقف احتقار وإهانة تجاههم؛ حتى أنه يجبرهم على التصرف بهذه الطريقة من أجل استمرار هذا الحكم. لقد كان هذا ولا يزال هو الواقع في كل نظام احتلالي، في كل الأمم وفي كل مكان في العالم؛ وهو أمر يقتضيه جوهر نظام الاحتلال، وجوهره هذا لا يُمكن تخفيفه أو «أنسنته» أو «لبرلته». إن كل هذه الظواهر نشهدها بالفعل في منطقة حكمنا في «المناطق»- بدءًا من فرض العقوبات الجماعية، ونفي السكان من وطنهم، ونسف المنازل، والاستيلاء على الأراضي، وسدّ آبار المياه في الصحراء .. إلخ، وانتهاءً بانتهاكات الكرامة الإنسانية، وصولاً إلى سفك دماء السكان العرب من خلال منح العفو لقاتليهم اليهود. إن حكم الاحتلال غير قابل للاستمرار إذا كان «إنسانيًا» أو «ليبراليًا»، وكل من يطالب من طرفنا بتقديم تسهيلات لسكان «المناطق»، لأجل إلغاء الحكم العسكري وما إلى ذلك، مع استمرار السيطرة على «المناطق»- ليسوا سوى سذج أو منافقين.

لكن الحكم الاستعماري- الاحتلالي يفسد المحكومين أيضًا. يتبين اليوم أن كل عربي في نطاق الحكم الإسرائيلي، في الدولة و«المناطق»، هو عضو في منظمة التحرير الفلسطينية - بالفعل أو بالقوة. هذا يعني: من الممكن أن يكون مستعدًا أيضًا للقيام بعمل إرهابي. لا أستطيع أن أتذمّر من ذلك تذمرًا أخلاقيًا، لأن طبيعة الحكم الاستعماري- الاحتلالي تولّد حركة المقاومة والانتفاضة (المقاومة) لدى الشعب المستعبَد، وطبيعة مثل هذه الحركة تتطور إلى/ تضم الإرهاب، وطبيعة الإرهاب تستلزم أعمالًا انتقامية من جانب الحكم، والتي هي مكافحة للإرهاب- وتستمرّ الدائرة. كل من يعارض حقًا فظاعة هذا الوضع ويخشى الكارثة التي سيجلبها على الشعب الإسرائيلي- اليهودي وعلى الشعب الفلسطيني- العربي مجتمعًا- مُلزم أن يفهم أن هذا الرعب وهذه الكارثة لا يمكن منعهما إلا بالقضاء التام على الاحتلال.

في هذه الأثناء، فإن الواقع الاجتماعي-النفسي في نظام حاكمين- محكومين في «أرض إسرائيل الكاملة» مسموم بشعور العداء المتبادل، الذي يتحول إلى كراهية عمياء، وبشعور بالازدراء المتبادل. ولست بحاجة لأن أعرض وأؤطر هنا كيف يعامل اليهودي الإسرائيلي «المتوسط» الحاكم العربي المحكوم. لكن قد يكون من الضروري هنا أن أظهر كيف ينظر الحاكمون إلى المحكومين في ظل العلاقات التي نشأت بينهم. سمعت من فم طالب عربي في جامعتنا (أثناء نقاش ساخن بين مجموعة من الطلاب اليهود والطلاب العرب): «العربي الذي يأتي من قريته إلى المدينة اليهودية- ماذا يرى هناك؟ جميع عمّال البناء هم عرب، وجميع عمال النظافة في البلديات، وجميع منشآت الأرصفة والطرق هي لعرب؛ وكل العاهرات هنّ يهوديات». في الفضاء الاجتماعي والنفسي لعلاقات الحاكمين والمحكومين لا يستطيع أحد الطرفين أن يلاحظ أي شيء إيجابي في الطرف الآخر. لو قيل لذلك العربي: لولا النظام الإسرائيلي ومؤسساتها التعليمية في القرية العربية، لما كنت اليوم طالبًا في الجامعة العبرية أو التخنيون، وربّما ستكون بعد عامين طبيبًا أو محاميًا أو مهندسًا، بل ستكون فلاحًا أميّا كما والدك وجدّك.

سيجيب بأن لا شيء من هذا يستحق العناء كلما

شعر بذلّ الانتماء إلى شعب لا حقّ له في الاستقلال الذي تتمتع به كل الشعوب. بهذه الطريقة تتشكل العلاقات بين الحاكم والمحكوم. وفي إطار هذه الشكل من الحكم لا يمكن إصلاح أي شيء، فلا تنفع النية الطيبة، ولا التوجهات الطيبة، ولا الطموحات السامية الصالحة. التصحيح لا يمكن أن يكون إلا بالتخلّص والهروب من هذا الحكم.

أنا على قناعة بأن السيطرة اليهودية لن تستمر وراء الخط الأخضر، وأن قضية الضفة الغربية وقطاع غزة ستنتهي كما انتهت قضية سيناء. والسؤال ليس فقط ما هو الثمن الذي سيتعين علينا أن ندفعه، على صعيد الدمار الداخلي كي نعود إلى الخط الأخضر. لماذا «وحدة الأرض» مستحيلة وتقسيمها أمر لا مفر منه؟ لأن الوضع الحالي هو نتيجة ألفي عام من التاريخ، وليس نتيجة الأعوام الثلاثة عشر الأخيرة، كما أنه ليس نتيجة الأعوام الاثنين والثلاثين الأخيرة التي هي عمر وجود دولة إسرائيل، إنما هو حصيلة ألفي سنة من التاريخ، لا يمكن تغييره، حتى لو تم تشويهه. نحن نعرف تاريخ الشعب اليهودي في هذه الفترة وتاريخ هذه البلاد في الفترة نفسها، وحتى تاريخ الشعب العربي- آخر ١٤٠٠ عام. ونتيجة لهذا التاريخ الذي لا يمكن تغييره ولا تعديله، هناك اليوم شعبان كل منهما يدرك بكامل قدراته العقلية والروحية أن هذا الوطن هو وطنه. إن الحديث عن «الحقوق التاريخية» هراء وغير ذي صلة. والحقيقة أن هناك شعبين، كل منهما يدرك بصدق وعمق أن هذا البلد هو وطنه. هناك طريقتان فقط للخروج من هذا الوضع الإشكالي- أي: الاختيار بين أصلين - ولا ثالث لهما. المخرج الوحيد، وهو النتيجة الضرورية لاستمرار سيطرتنا على المناطق والحفاظ على العلاقة بين الحكام والمحكومين، هو الحرب حتى النهاية، ولن تكون هذه حربًا بين دولة إسرائيل و ٢ أو ٣ مليون فلسطيني؛ وإنما حرب إسرائيلية ضد الوطن العربي من المغرب إلى الكويت، على الرغم من كل الصراعات القائمة اليوم بين دوله، وهذا يشمل مصر أيضًا التي لم توقع معنا سلامًا وإنما هدنة فقط صيغت على شكل معاهدة سلام، وإذا حصل ذلك- لأننا لن نفي بالالتزام الذي يتضمنه «الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني» - فسوف نشهد حربًا مع العالم العربي كله، بما في ذلك مصر، وفي تلك الحرب وسيكون الجانب العربي مدعوماً من العالم أجمع، الكتلة الشرقية والكتلة الغربية معًا. البديل هو تقسيم الأرض بين الشعبين بعيدًا عن الجدول حول ما إذا كان هذا الحل «عادلاً» أو «غير عادل»، «منطقي» أو «غير منطقي»، «جيد» أو «غير جيد»، لأن هذا هو البديل الوحيد للحرب، وهو البديل الوحيد الذي يُنهي علاقة الحكام والمحكومين بين الشعبين. أنا لا أخدع نفسي ولا أنوي أن أوهمكم بإمكانية قيام علاقات سلمية وحسن جوار بيننا على الفور، لكن علاقات سلمية وحسن جوار غير موجودة اليوم حتى بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية التي يفصل بينها الخط الفاصل لألمانيا، ويقفون ضد بعضهم البعض من منطلق الشعور بالعداء الشديد والشكوك المتبادلة والمخاوف المتبادلة، لكنهم يعيشون على هذا الحال منذ ٣٥ عامًا، ولا يجرؤ أحد على انتهاكه، لماذا؟ لأن الجميع يعلم أن هذا هو البديل للحرب العالمية الثالثة. وحتى هنا، فإن البديل عن الحرب حتى النهاية في الشرق الأوسط هو تقسيم الأرض بين الشعبين، وإلغاء واقع وجود شعب حاكم وشعب محكوم له.